

الممارسة التأويلية في البراديغم الحجاجي

Title of the intervention: Interpretive practice in the argumentative
paradigm

أد: منصور مهدي

جامعة ابن خلدون تيارت

المال: mehidi_m77@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2023/12/30	تاريخ القبول: 2023/11/22	تاريخ الإرسال: 2023/11/04
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص المداخلة :

سنحاول من خلال مداخلتنا البحث في الجذور الأولى لفلسفة التأويل الهيرمينوطيقا والاستثمار في التقاطعات والتجاذبات بين الدرس التأويلي و الدرس الحجاجي ، إذا اعتبرنا الحجاج في البراديغم التأويلي آلية تأويلية يستخدمها المحاج/المؤول ، لإثبات مواقفه وترشيح أرائه. ما جعلنا نقرّ باتحاد الوظيفتين (الحجاجية والتأويلية) في علاقة متبادلة وفق مسارين، المسار التأويلي المتبوع بمسار برهاني حجّجي.

وهذا الاعتبار يؤكّد الوظيفة التحويلية التي علّقها المنظرون بالحدث الحجاجي من خلال جمع من المفاهيم والاصطلاحات (المجاوزة/البناء/التوجيه)، وهذه الوظيفة تتجلى أساساً فيما يصطلح على تسميته بالعوالم الممكنة ، من جهة كونها محاصيل تأويلية و وجوها لتحقيق القراءة التأويلية الممكنة التي يرومها المحاجّ/المؤول ، و وفق هذه الآلية يحصل الفعل التأثيري والإقناعي .

وهذه المقاربة المزدوجة (التأويلية/التداولية) المنتهجة حرّكت مساراتها جملة من التساؤلات الهامة، منها: ماهية العلاقة الموجودة بين التأويل ولحجاج ؟ وكيف يستطيع المحاجج تأويل مقولاته لبناء حججه مرة ثانية للوصول إلى التأثير والإقناع من جهة ؟ وكيف يمكن للمؤول فتح مسالك التأويل و الترجيح بين القراءات من جهة أخرى؟ وماهي الوظيفة التحويلية و التأويلية في البراديغم الحجاجي . سنحاول الإجابة عنها وفق رؤية علمية نقدية متزنة بين التنظير والممارسة الإجرائية.

الكلمات المفتاحية: التأويل ، الفهم ، الهيرمينوطيقا، البراديغم الحجاجي .

تمهيد:

من المعلوم أن الدراسات الأدبية كانت في مرحلتها الأولى منصبة أساساً على عنصر المؤلف لما له من أهمية قصوى في تفسير النصوص والأعمال الأدبية. وهكذا شكل المؤلف قطب نقطة تقاطع مجموعة من الدراسات والمقاربات ذات المنحى السياقي (النفسي والاجتماعي والتاريخي)، حتى ترسخ في الأذهان ما يمكن تسميته بـ «سلطة المؤلف». ففي بعض الأحيان لم يكن المتلقي في النظريات القديمة أكثر من متأثر بالنص الأدبي وهو لا يحق له إلا الاستئناس إلى الخطاب دون أن يمارس موقفاً ما .

وأما المرحلة الثانية، فقد عرفت تحولاً في المسار النقدي في اتجاه ترسيخ سلطة أخرى على غرار سلطة المؤلف، وهي "سلطة النص"، حيث كان الإعلان عن موت المؤلف من قبل أقطاب البنيوية إيذاناً بتحرر الفكر النقدي من سطوة المتكلم وبالتالي الولوج إلى مسرح الكلام، وهو الإعلان عن تحول وجهة النظر من الناطق بالنص إلى النص بذاته أو من ناسخ القول إلى نسيج القول¹، ولذلك سيكون من المهام المنوطة بالنقد النصي، مقارنة النص الأدبي: «بما هو بنية مغلقة ومكتفية بذاتها، لا تحيل على وقائع مجاورة للغة قد تتصل بالذات المنتجة أو بسياق الإنتاج، بل تحيل على اشتغالها الداخلي فقط مكرساً بذلك فيتشية* النص ولا شي سواه»².

وأما المحطة الثالثة، فعرفت فيها الدراسات الأدبية تحولاً نوعياً في اتجاه إرساء دعائم التأويل من خلال الاهتمام بدور التلقي الذي أصبح جزءاً لا يتجزأ من كل عملية تأويل، ونال القارئ فيها حقه ، حين أصبح النص يتوجه إليه ، باعتباره الموجود الوحيد والحكم الفصل، وهو الكاتب الجديد للنص والمفترض دائماً .

وينبثق مفهوم التأويل من جملة التطورات التي حصلت في التيارات الفكرية والنقدية مسيراً تطوراتها المعرفية باعتباره جهداً عقلياً يحاول الوقوف على النصوص في انفتاحها اللانهائي لاستكشاف الدلالة التي تربط بمفهوم القراءة ، ومن ثم تصبح العلاقة بين القراءة والتأويل جدلية تقوم على التفاعل المتبادل بين النص والمؤثر فيه القارئ الذي يحدد آليات القراءة وإجراءاتها المنهجية.

مفهوم الهرمينوطيقا (التأويلية) ونشأتها:

¹ ينظر عبد السلام المسدي، اللسانيات، وإبستمية النقد، المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ع 32، مارس 1997، ص: 19.

* نسبة إلى العالم فيتش.

² رشيد بن حدو، العلاقة بين القارئ والنص في التفكير الأدبي المعاصر، مجلة عالم الفكر، المجلد 23، ع: 01، 1994، ص: 481.

لقد ارتبط فنّ التأويل بإشكالية قراءة تفسير النص الديني ممّا دفع ماثياس فلاسيوس * "matthiae flacius" إلى الثورة على سلطة الكنيسة في مسألة مصادرة حرية قراءة النص المقدس ليقتراح أولوية التراث في تأويل بعض المقاطع الغامضة من النص وطابع الاستقلالية في فهم محتوياته بمعزل عن كل إكراه.

أما مصطلح الهرمينوطيقا (التأويلية) مصطلح قديم بدأ استخدامه» في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني (الكتاب المقدس) فيما يعرف به التفسير التوراتي lexégèse biblique»³، وقد كان لهذه النشأة في كنف الدراسات الدينية ما يبرره، لاسيما إذا علمنا مدى صعوبة الصراعات التي نشبت بين كل من حاول تفسير التوراة خارج إطار التفسيرات الرسمية لدى الإكليروس**، أو رجال الدين réformateurs ، الذين يصرون على ضرورة أن يكون الفهم أحاديا littéralement ، بعيداً عن التأويل المجازي (الرمزي).

ل يبقى بذلك تأويل الكتابة المقدسة، وفق الرؤية الدينية البروتستانتية*** حبيس مسلمات رجال الدين، باعتبارهم يمثلون المخلص " السيد المسيح"، لتصبح تأويلاتهم نصوصاً مقدسة تحجب أو تزيج النص المقدس/الأصل. وأمام هذه المشكلات، في المجتمع المسيحي القديم، تبلور مفهوم الهرمينوطيقا ليشير إلى « مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني (الكتاب المقدس)»⁴، ليتسع بعد ذلك مفهوم المصطلح في الممارسات الحديثة، فاستخدم في تأويل كل أنواع الأعمال الفنيّة، والحكايات الأسطورية، والأحلام، ومختلف أشكال الأدب واللغة بوجه عام.

فكلمة «هرمينوطيقا herménétique تعني في الأصل فن أو علم التأويل هي أقدم الاتجاهات اهتماماً بفن فهم النصوص»⁵، ويعود أول استخدام لمصطلح الهرمينوطيقا للدلالة على هذا المعنى عام 1654م.

أما في ما يخص نشأة الهرمينوطيقا الأولى وممارستها، فهي ليست مشكلة حديثة، وإنّما موهلة في القدم، فقد اقترن ظهورها عند اليونانيين في العصر الكلاسيكي بوصفها إجراءً أو طريقةً في قراءة النصوص الأدبية وفهمها،

* أحد اللوثرين نسبة إلى الرائد الإصلاحى مارتن لوثر.

³ نصر حامد أبو زيد، إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء المغرب، ط:6، 2006، ص:13.

** الإكليروس Clergy، هم رجال الدين وهم ثلاث فئات: الأساقفة (المطارنة)، القسوس (القمامسة)، الشماسية.

*** حركة مسيحية رمت إلى إنقاذ المسيحية من رجال الدين ومن سلطة الكنيسة والبابا.

⁴ عبد الغنى بارة، الهرمينوطيقا والترجمة مقارنة في أصول المصطلح وتحولاته، مجلة الآداب الأجنبية فصيلة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع:133، شتاء 2008، ص:3.

⁵ فاطمة الطّبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط:01، 1993، ص:56.

ويتعلق الأمر بتأويل النص الهومييري*، تجدر الإشارة إلى أننا نبتغي صيغة «فن التأويل لترجمة كلمة herméneutique» تمييزاً لها عن التأويل بمعنى interprétation، إذ أنّ البعض يفضل تعريبها بـ: علم التأويل⁶، ويفضل البعض الآخر تعريبها بالتأويلية وأيضاً الهرمينوطيقا، ومن المهمّ الملاحظة أنّ الكلمة اليونانية herméneute تعني ثلاثة أسماء: «التعبير، والشرح، والترجمة»⁷.

تكاد المعاجم المتخصصة تجمع على الأصل الإغريقي لمصطلح هرمينوطيقا فهو عند: «برناردو دوبي Bernard Dupuy» مشتق من أصل إغريقي هرمينيا harmonia الذي يدلّ على التأويل، أمّا عند صاحبي المعجم النقد الأدبي تامين و هوبر "hubert" et "tamine" فهو فنُّ تأويل العلاقات⁸. وهو تأمل فلسفي يعمل على تفكيك كل العوالم الرمزية، وبخاصة الأساطير والرموز الدينية، والأشكال الفنية، وأمّا «جون غروندين jean grondin» فيعتبرها فنّ تأويل النصوص⁹، وقد اتسع مجال استخدامه إلى دلالات جديدة، فيذهب غروندين إلى القول بأنّ لفظة «الهرمينوطيقا herméneutique» مشتقة من الفعل اليوناني هرمينويو herméneuo الذي يحمل معنى الترجمة، والتفسير والتعبير¹⁰، وفي هذه الحالات الثلاث يحمل هذا الفعل الاتجاه إلى الفهم إدراكاً ووضوحاً.

ونجد أنّ مصطلح الهرمينوطيقا حصلت له تحولات دلالية عبر مختلف حقبة العصر الإغريقي الكلاسيكي، من خلال تطوّر الفلسفة اليونانية (النصوص المقدسة)، أو من ترجمة المصطلح من اليونانية إلى اللاتينية، إذ أنّ ترجمته بـ: interpréta قد أثّرت على دلالة الهرمينيا l'herménia فانزاحت عن معناها الأصلي.

ولقد تميّزت الهرمينوطيقا بكونها فلسفية، لارتباطها في بدايتها بتفسير وتأويل النصوص الدينية، فهي فنٌّ للتأويل، وفهم النص يعتبر موضوعاً ينوب عن العالم الذي تحمله دلالاته ورموزه، والتأويل ينجز الخطاب الذي تحمل فيه اللغة العالم إلى النص.

* نسبة إلى هوميروس، شاعر إغريقي شهير وكاتب الملحمتين - الإلياذة والأوديسا - قام بتخليد حرب طروادة شعراً بدقة متناهية التي يعتقد حدوثها العام 1250 ق.م.

⁶ محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط: 2002، ص: 29.

⁷ هانز روبرت جونس، علم التأويل الأدبي، حدوده ومهمّاته، ترجمة، بسام بركة، مجلّة العرب والفكر العالمي، ع: 03 صيف 1988، ص: 56.

⁸ عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والترجمة، مقارنة في أصول المصطلح وتحولاته، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع: 133، ص: 04.

⁹ المقال نفسه، ص: 4.

¹⁰ المقال نفسه، ص: 4.

فالهرمينوطيقا هي: «نظرية عمليات الفهم في علاقاتها مع تفسير النصوص، هكذا ستكون الفكرة الموجّهة هي فكرة انجاز الخطاب كنص»¹¹.

بين التأويل والتفسير:

إن لفظ التأويل ليس جديداً، لقد كان قديماً «يعني التغلب على مسافة زمنية أو لغوية ما من المعنى، ومع المحدثين وخاصةً ديلتاي* اكتسب هذا المصطلح حمولة جديدة تتعلق بوضع قواعد كلية لفهم النصوص، بالتحكيم بين التأويلات وكذا بإعلاء التفسير exégèse إلى مستوى العلم»¹² فحاول ديلتاي تأسيس منهج موضوعي للإنسانيات، وبعد ديلتاي بدأ التأويل يأخذ معنى أكثر اتساعاً من وضع قواعد عامة لفهم النصوص وذلك نتيجة للأفكار التي أرساها هايدغر**، فأصبح التأويل ضمن هذا التحوّل الهايدغري « فلسفة التأويل التي تتجاوز المنظور الميتودولوجي*** لتصعد إلى شروط إمكانه ، والتي تتناول الطابع اللغوي للتجربة البشرية من جهة ما هو محايث لها، وللوجود في العالم من جهة أخرى»¹³.

فتداخل اللّفظين interprétation و herménautique وتشعّبهما وجب التفريق بينهما «فالكلمة الأولى interprétation تعني الجهد العقلي الذي نقوم به في إرجاع معنى ظاهر ومجازي إلى معنى باطن أو حقيقي في حين أنّ الثانية ذات حمولة فلسفية بما أنّها تهدفُ إلى الإمساك بالكائن من خلال تأويل تعبيرات جهده من أجل الوجود»¹⁴، وتُطلق كلمة هرمينوطيقا في العادة على اتجاهات مختلفة التي يعتنقها بعض الفلاسفة والمفكرين الذين يعطون اهتماماً خاصاً لمشكلات (الفهم) و(التأويل) أو (التفسير) فالكلمة كذلك تصدق على نظرية التفسير ومنهاجه. إنّ هذا التباين بين المعنى الحرفي والمعنى الرمزي للكلمة اليونانية hermeneuein تولّدت عليه مدرستان في علم التأويل

¹¹ بول ريكور ، من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، ترجمة محمد براءة، حسان بورقية، الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم القاهرة، ط: 2001، 1، ص: 58.

* الفيلسوف الألماني فيلهلم ديلتاي (1833-1911)، من تلامذة شلاير ماخر، كرّس حياته لتنظير وشرح إبستمولوجيا الوضع العلمي للعلوم الإنسانية التي يسميها "علوم الروح".

¹² حسن بن حسن، النظرية التأويلية عند بول ريكور، منشورات الاختلاف، ط: 02، الجزائر 2003، ص: 14.

** مارتن هايدغر الألماني الوجودي (1889 . 1976).

*** الميتودولوجيا (من methodos اليونانية، ومعناها الطريق إلى... المهاج المؤدي إلى...) هي علم المناهج، والمقصود هنا: مناهج العلوم، والمنهج العلمي هو جملة العمليات العقلية والخطوات العملية التي يقوم بها العالم، من بداية بحثه حتى نهايته، من أجل الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها.

¹³ حسن بن حسن، النظرية التأويلية عند بول ريكور ، ص: 14.

¹⁴ المرجع نفسه ، ص: 15.

الأدبي، ظهرتاً بشكلٍ مبكرٍ وهما: التفسير النحوي، والتفسير المجازي (الرمزي)، الذي وضعه الرواقيون*، وهذا راجع لقيمة الفرق بين المناهج التي تقضي بتفسير نص قديم عسير الفهم بلغةٍ حديثة.

و كما نجد أنّ السيميائيين الغربيين توقّفوا عند المفاهيم الكبرى للتأويلية أمثال: جورج غادامير**، و بول ريكور***، و امبرتو ايكو**** فتعريفهم لهذا المفهوم (التأويلية) كانت متباينة فهو «طوراً لديهم العلم الذي موضوعه تأويل النصوص الفلسفية والدينية، وهو طوراً يستعمل خصوصاً من أجل تحديد مجموعة القضايا المتمخضة للقراءة وفهمها، كما أنّه يصطنع أيضاً من أجل تأويل كل الإبداعات الفنية، والحكايات الأسطورية، والأشكال المختلفة للأدب واللغة»¹⁵، ولكن بول ريكور ذهب إلى أبعد من ذلك حيث عدّ التأويلية تجاوزاً مع السيميائية حين يقول: «إنّها تقرن النظرية العامة للمعنى بالنظرية العامة للنص»¹⁶، ذلك بأنّ النظرية العامة للمعنى لا ينبغي لها أن تختلف اختلافاً كثيراً عن النظرية العامة للنص، إذ هل يوجد نص ولا معنى له؟.

و هكذا تعد التأويلية استنباطاً لمعنى النص أو لمعنى اللغة كما أطلق عليه الشيخ عبد القاهر الجرجاني رحمه الله معنى المعنى، «وهو أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر»¹⁷. لا ترفض السياق، أي أنّها لا ترفض ربط الأدب بالمجتمع الذي نشأ فيه فهي مسألة تشترك فيها التأويلية، في الحقيقة، في قراءتها النص مع معظم التيارات الجديدة، الخاصة بتحليل النص وقراءته: من الشكلانية الروسية (formalisme russe) إلى السريالية (surréalisme) إلى البنيوية (structuralisme) إلى السيميائية (sémiologie)، فالتأويلية توظف السياق الاجتماعي التاريخي من أجل بلورة المعاني الممكن استقبالها لدى المتلقي فكأنّها تفرض وضعاً فلسفياً للمرجعية بما هي معيار للتقويم.

الهيرمينوطيقا والفلسفة الهوسرلية:

¹⁵ عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ط: 01، 2003، ص: 183.

¹⁶ المرجع نفسه، ص: 184.

¹⁷ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت ط: 01، 2004 م، ص: 16.

* نسبة إلى الرواقية: مدرسة فلسفية تعتمد على زينون الرواقي (333 ق م، 264 ق م)، تجعل الإنسان مفكراً سليماً، متزن التفكير وموضوعي. أحد جوانب الرواقية الأساسية هي تحسين رفاهة الفرد الروحية.

** غادامير فيلسوف ألماني شهير ولد في ماربورغ 11 فبراير 1900، وتزامن ميلاده مع نفس العام الذي مات فيه الفيلسوف الأشهر "فريدريك نيتشه" ما يعطينا تصوراً جيداً لمحيط فيلسوف التأويل "هانس" الفكري والمعرفي.

*** بول ريكور، فيلسوف فرنسي وعالم لسانيات معاصر ولد سنة 1913 وتوفي سنة 2005، من ممثلي التيار التأويلي، اشتغل في حقل الاهتمام التأويلي ومن ثم بالاهتمام بالبنيوية، وهو امتداد لـ فريدريش دي سوسير. يعتبر ريكور رائد سؤال السرد. أشهر كتبه (نظرية التأويل - التاريخ و الحقيقة - الزمن و الحكي - الخطاب وفائض المعنى).

**** امبرتو إيكو: باحث إيطالياً من أبرز منظري المنهج السيميائي المعاصر من مواليد 1932، مؤلفاته: "العمل المفتوح"، "البنية الغائبة"، "العلامة"، "القارئ في الحكاية". أشهر أعماله الروائية: "اسم الوردة" و "بندول فوكو" و "باودولينو".

وهكذا تأتي الهرمينوطيقا لتتوج الجهد الظاهراتي الهوسرلي* في الاستعاضة عن المناهج العلمية في العلوم الإنسانية بمقاربة معرفية أعمق وأشمل وهي تنطلق من فهم الذات، ولذا «إذا ميّزنا بين الهرمينوطيقا وبين نظرية المعرفة** فإنه لا يوجد أي سبب لتخيل أن الناس يجدون صعوبة كبيرة في فهم أن الأشياء توجد ببساطة، وبأنّ الهرمينوطيقا ضرورية، لأنّ الناس هم الذين يخاطبون وليست الأشياء»¹⁸، فالهرمينوطيقا تبحث عن الذات التي تستند إليها عملية المعرفة تحتاج إلى إثبات وجود موضوعاتها من حيث الماهية أي من خلال تصور الظاهرة في كليتها من خلال الفكر، والفكر كما يقول هايدغر: «يتم العلاقة بين الوجود والماهية»¹⁹، ففي حضن ثلاثية الفكر- الوجود- الماهية تنشأ أرضية ظاهراتية للوعي بالأشياء لكي لا تدع الوهم يتسرب إلى الذات.

فالظواهرية أو الظاهراتية (الفينومينولوجيا) التي عرض أفكارها برانتانو وارتقى بها "إدموند هوسرل" إلى درجة التنظير التي تجعل الذات محطة انطلاقها.

يشير هايدغر " m.heidgger " في كتابه: "الوجود والزمن" 1927م أنّ الهرمينوطيقا هذه الكلمة تعود إلى الجذرين اليونانيين " phainomenon " ومنه نجد تداخل الهرمينوطيقا و الظاهراتية (فينومينولوجيا). إذا كانت الفينومينولوجيا تبحث في مشكل (فهم الوجود) فإن التأويل انصب اهتمامه على إشكالية "وجود الفهم" أو بما يسمى "كينونة الفهم" وهكذا تتغذى نظرية التأويل بالظاهراتية القائلة بأن الإدراك يتم عن طريق تفاعل الذات بالموضوع (القراءة مثلا)، وتجاوز معادلة الفصل بين الذات والموضوع التي رسمتها المناهج العلمية، ويقول إ.هوسرل في أحد الدروس التي ألقاها خلال العشرينات من القرن الماضي تحت عنوان «علم النفس الفينومينولوجي»: «لسنا هنا من أجل الشروع في تأملات فلسفية حول "الماهية الداخلية للروح" أو من أجل أن نتصور أسسا لأبنية ميتافيزيقية، وإنما نحن هنا من أجل تأسيس سيكولوجيا مفهومة كعلم تجريبي»²⁰، وفي سياق البحث عن مقاربة علمية للذاتية، وهي ما يشكل الموضوع الرئيسي للفينومينولوجيا، عمد هوسرل إلى اختراع منهج غير مسبوق أطلق عليه اسم "الإرجاع" réduction ، كما أعطى الأولوية لمنهج غير مألوف في مجال البحث الفلسفي هو "الوصف"، ملجأ بالعودة إلى التجربة الفريدة للذات، مؤكداً أن العقل الإنساني الفردي هو مركز كل معنى وأصله .

* نسبة إلى إدموند هوسرل (1859 - 1938)، مؤسس الفينومينولوجيا في ألمانيا الذي اشتهر بـ"أبي الفينومينولوجيا"

** علم المعرفة من العلوم التي تبحث في تقييم جميع المناهج الفلسفية والعلمية ، الخ ، ويعتبر هذا العلم مدخلا لدراسة بقية العلوم ، إذ يكون له السبق في تأصيل الأدوات المعرفية التي يحتاجها الباحث في ذلك العلم ، وذلك وفقا للأفق الفلسفي والعلمي الذي يعتنقه الباحث.

¹⁸ عمارة ناصر، اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، دار الفرابي، منشورات الاختلاف بيروت، لبنان، ط: 01.

2007م، ص:15.

¹⁹ المرجع نفسه ص:15.

²⁰ نتالي دوبراز، الفينومينولوجيا، ترجمة: الحسين بوتبغة، مجلة الآداب الأجنبية ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع: 135، 2008، ص:15.

أنا + أفكر + بموضوع فكري

84

جانب- يقدم استعماله للغة أشياء جديدة، ويحتفظ- من جانب آخر- ببعض خصائص اللغة التي يكررها وينقلها»²⁴.

وأما مارتن هايدغر أقام الهرمينوطيقا على أساس فلسفي، واعتبر الفهم هو أساس الفلسفة وجوهر الوجود، فرفض فكرة الوعي الذاتي وعلا عليه، فوحد الفن بالفلسفة في مهمتها الوجودية.

بينما غادامير استند لتطبيقات هايدغر ونظر لتأويليته في كتابة "الحقيقة والمنهج": مبادئ فلسفة التأويل 1965 توصل إلى أن «الهرمينوطيقا منهجية للعلوم الإنسانية ولكنها محاولة من أجل فهم الحقيقة (...) وما يربطها بكيّة تجربتنا في العالم»²⁵، فهو يرى ليس بالضرورة وضع منهج للفهم العلمي بل الذي يهيمه هو المعرفة والحقيقة.

الهرمينوطيقا الحديثة مع بول ريكور :

المشروع الفلسفي لبول ريكور حاول من خلاله إعادة تشكيل عوالم النصوص ، لتصبح قراءة النص معه ليس مجرد لعبة لغوية في نطاق الزمن والعلامة، أو تكهنًا عبقرياً في سبيل إدراك المقاصد الخفية للمؤلف، وإنما القدرة التأويلية على تشكيل عالم النص في ضوء مادته وشيئته بالموازاة مع تشكيل عالم الذات أو نسج رؤية بواسطة النص.

وهكذا امتدّ زحف المذهب الهرمينيوطيقي مع بول ريكور الذي ركّز أساساً على تفسير الرموز واعتماده على العلامات وخاصة في كتابه "نظرية التأويل" 1976 الذي كان ثمرة مراجعته النقدية واطلاعاته المتبحرة على المناهج النقدية الذي أتاح له الاعتراف منها مثل سيميولوجيا غريماس، والتحليل النفسي عند فرويد وبنوية لفي شتراوس ومنطقية الفلسفة الأنجلوسكسونية ،ومفاهيم أرسطو وكانط وهوسرل و هايدغر وجون ناير، فكانت تأويلية ريكور تجاوز مستمر هو دينامية المعنى في تحوله وتطوره.

وبعد ذلك سعت التأويلية الحديثة إلى قراءة النص وتلقيه وكان ذلك بإيعاز من رواد جمالية التلقي ياوس* و آيزر** اللذين أسسا مشروعاً متفتحاً على جمالية التلقي، وخاصة مع "آيزر" في كتابه "فعل القراءة" التي كانت محاولة لتصميم نظرية في القراءة باعتبارها شرطاً مسبقاً وضرورياً لجميع عمليات التأويل، فأصبحت هذه النظرية الجديدة «حركة تصحيح لزوايا انحراف الفكر النقدي لتعود به إلى قيمة النص، وأهمية القارئ»²⁶ ، بعد أن تهدمت

²⁴ نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص 21.

²⁵ المرجع نفسه ، ص 21.

* ياوس: ناقد ألماني شهير، صاحب نظرية جمالية التلقي.

** الناقد الألماني. " فولفجانج إيزر. " Wolfgangiser. الذي عملت الأاديمية الأمريكية على ترجمة أعماله.

26 محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: 01، 1996، ص: 17.

الجسور الممتدة بينهما بفعل الرمزية والماركسية، ومن ثم كان التركيز في مفهوم الاستقبال على القارئ والنص، «إن جوهر منظور التلقي هو إعادة الصلة الحميمية والضرورية بين النص ومتلقيه»²⁷، وضمان قراءة فاعلة تفسح المجال للقارئ قصد التجول في مدائن النص وسرديبه»²⁸.

فإن التلقي أعاد القيمة إلى القارئ ، وأعاد أهمية السياق التاريخي والاجتماعي، وكأنّه نفي لتطرف الشكلائية* وصرف البنيوية** التي أصبح فيها النص يتيمًا بدون أب، مع إعلان موت المؤلف . ومن ثم استفحل هذا اليتيم مع التفكيكية التي ألغت النص من الوجود لتؤسس لمشروعية وجود ما يسميه منظروها (القارئ النص)، حيث يكون النص حسب المنظور التفكيكي لا قيمة له من دون القارئ.

وشهد تاريخ التلقي الأدبي مجموعة من المقاربات في بعض الاتجاهات، ويتعلق الأمر بجمالية التلقي بشقيها الفينومينولوجي عند "أيز" والهرمينوطيقي عند "ياوس" (h.r.jauss)، وفي بلاغة القراءة عند "م.شارل" (m.charles)، وفي سيكولوجية القراءة عند "م. بيكار" (m.picard)، وفي أسلوبية القراءة عند "م.ريفاتير" (m.riffaterre)، وفي سوسولوجية القراءة عند "لينهاردت" (leenhardt).

ويبقى التأويل يرتبط بالإمكانات التي يوفرها المجال الاستقبالي للسان ما، وهذا الربط هو ما يؤدي إلى التأويل، والطريق التي بها يمكن القبض على المعنى وتحصيله باللفظ المعبر، وعلى هذا يكون «المجال اللساني للغة شرطاً في الإمكانية التي تحمل التأويل إلى اللغة وتبرئ استقبالية المعنى الذي يتأسس وجوداً عندما تتعين ألفاظه في السياق اللساني لخطاب ما»²⁹.

إن هوميروس*** لم يؤسس قانون الأدب العالمي من المنظار الشعري فحسب، بل كذلك وبسبب الصعوبات المتزايدة في تفسير أعماله، كان أول من وضع من جهة نظر التأويل مسألة الفهم الذي هو محاولة الدرس إدراك المعاني والدلالات التي تتفجر في النص وهو يستلزم دائماً إعادة بناء تاريخية للعالم "الماضي" ، فالفهم يطرح إشكالية حين يتعلق الأمر بالنصوص القديمة التي تفصلنا عنها مدة زمنية معينة. ذلك أن النص كلما كان منتمياً إلى عصر

27 رجاء عيد، ما وراء النص. مجلة علامات، السعودية. المجلد الثامن، ع: 30، شعبان، ديسمبر 1999، ص: 193.

28 المقال نفسه، ص: 193.

* هي إحدى المذاهب المؤثرة في ميدان النقد الأدبي في روسيا في الفترة بين العام 1910 و 1930، أبرز شخصيات المدرسة الشكلية.

فيكتور شيكلوفسكي ورومان جاكوبسون وجريكوري فينكور، هم من أحدث ثورة في ميدان النقد الأدبي بين العام 1914

**البنيوية أو البنية : منهج بحث يركز في بداية مطلع القرن التاسع عشر، وهو الاسم الذي أطلقه جاكوبسون عام 1929 ، وهو فكر شامل

(paradig) ، مختزلاً جميع أنواع العلوم والتخصصات . أبرز منظروها : فريدريش دي سوسير و كلود ليفي شتراوس .

²⁹ عمارة ناصر، اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، دار الفرابي، منشورات الاختلاف، ط: 01،

2007م: ص: 151.

*** هوميروس شاعر إغريقي شهير وكاتب الملحمتين - الإلياذة والأوديسا .

ليس عصرنا، إلا واجتهد الدارس في تفكيكه واستنطاقه بغية الاقتراب من فهمه. من هنا يكون الفهم هو المكوّن الجوهرى لعملية القراءة فالتأويل هو الشكل الظاهر للفهم، ذلك أن الفهم والقراءة والتأويل وجوه متعددة لعملية واحدة يستدعي كل منها الآخر.

وعملية الفهم « تقوم على نوع من الحوارية بين تجربة المتلقي الذاتية والتجربة الموضوعية المتجلية في الأدب من خلال الوسيط المشترك، ويتغير مفهوم "الفهم" نفسه من أن يكون عملية تعرف عقلية، إلى أن يكون مواجهة تُفهم فيها الحياة نفسها، الفهم- بهذا المعنى هو الخصيصة المميزة للدراسات الإنسانية «30، وهو القدرة على تفهم الغير أو الطرف الآخر من خلال إنجاز فعل لغوي يقوم به الفاهم لصالح المتلقي، ويستفيد من الطرف الآخر لمبررات أخلاقية أو دينية أو عاطفية.

وإن معنى الفهم الذي أملته فلسفة الأنوار* ينتقل خلسة من الفهم إلى التفسير ويصدر حكم قيمة على كل الظواهر التي لا ترقى إلى عتبة الفهم، معتبرا أن «كل ما لا يرقى إلى عتبة الفهم يدخل في دائرة اللامعقول»³¹، والتركيز على الفهم لا يعني إيجاد تعارض مطلق بينه وبين التفسير، بما أننا قد نجعل فهم ظاهرة ما مقدمة لتفسيرها كما أننا قد نجعل تفسير ظاهرة ما مقدمة لفهمها، كما أن الحدود التي نضعها على التفسير هي نفس الحدود التي نضعها أحيانا على الفهم .

و إلى جانب الفهم والتفهم نجد معنى التفاهم، «وهو يبرز عملية تفاهم متبادل أو يبرز ثمرة العملية أو المعنى الذي يفيد اللفظ الفرنسي se comprendre l'un l'autre أو مفردة "s'entendre"»³² ، لذا إذا أردنا معالجة إشكالية الفهم داخل مبحث الهرمينوطيقا لابد أن نأخذ بعين الاعتبار الفروق الدقيقة الموجودة بين الفهم والتفهم والتفاهم، وهناك من نقل مصطلح "الفهم" إلى دائرة النزعة السيكلوجية ليقترن الفهم بالمشاركة الوجدانية في حياة الآخر، عند

³⁰ نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص:27.

* فلسفة الأنوار فتحت عبقرية، في أوروبا إبان القرن الثامن عشر، عمل أصحابها على إعادة الاعتبار للعقل والذكاء البشري ، مستهدفين القضاء على المعالم الفيودالية للنظام القديم وجعل حد لهيمنة الفكر الأسطوري والاستبداد التي كانت تكرسه الكنيسة- انتقد فلاسفة الأنوار الفكر السياسي والديني ووضعوا الثقافة السائدة في المجتمع ، ودعوا إلى تأسيس علاقات جديدة بين الحكام في إطار مجتمع علماني يفصل فيه الدين عن الدنيا وهي الأفكار التي تبنتها طبقة البورجوازية الصاعدة، فانتقدوا الرقابة شعارهم: "دعه يعمل، دعه يمر" ،

³¹ حكيم بناني، الفهم والتأويل والحجاج، www.aljabriabed.net

³² المقال نفسه ، ص:62.

** مصطلح (الرومانسية) يُطلق على مذهب أدبيّ يعينه ذي خصائص معروفة، استخلصت على المستوى النقدي من مجموع ملامح الحركة الأدبية التي انتشرت في أوروبا في أعقاب المذهب الكلاسيكي، يعود مصطلح الرومانسيّة إلى كلمة رومان (Roman) ومعناها في العصر الوسيط: حكاية المغامرات شعراً ونثراً.

محاولة عوالمه الباطنية دون اللجوء إلى منظومة تفسيرية فوقية، ويتحقق بدخول عالم الآخر والإحساس بأحاسيسه كما يصطلح عليه في الرومانسية** بجماليات العبقرية «esthétique, du génie».

وقد قام بول ريكور بنقد النزعة السيكلولوجية وميّز بين سيكلولوجية الفهم ومنطق التأويل معتبرا الأولى ذات طبيعة ذاتية معرفية والثاني ذو طبيعة أنطولوجية³³.

و أمّا شلايرماخر انطلق من الخطاب الشفهي وليس من النصوص فهو يعتقد بأنّ «كل عملية فهم انعكاس لعملية الكلام»³⁴ ويمحور عملية الفهم على المتكلم الأجنبي وعلى ذاتية المؤلف، كما أنّه ميّز بين ثلاثة أشكال للفهم في فلسفته التأويلية هما: «الفهم التاريخي الذي يرجع إلى المضمون، والفهم النحوي الذي يرجع إلى الشكل واللغة والعرض والفهم الذهني الذي يعتد بذهنية الكاتب وذهنية العصر»³⁵. أما غادامير ميّز بين نوعين من الفهم :

• الفهم الجوهرى وهو فهم محتوى الحقيقة.

• الفهم القصدي وهو فهم مقاصد وأهداف المؤلف.

إذا كان التأويل هو عبارة عن إضفاء الصراحة على الفهم فان الفهم هو أساس اللغة والتأويل، لأن الفهم متقدم على التأويل فيكون التأويل مبني على أصل الفهم لا العكس، كما أن الفهم يتركز في ثلاثة أبعاد غير منفصلة عن بعضها.

المهارة العملية.

المهارة الفهمية.

المهارة التفسيرية.

وبهذا يصبح التأويل بدوره هو عمل الفهم الذي يشتغل على فك الرموز، وهو مرحلة أولية من مراحل التأويل الثلاثة: الفهم ، والتفسير ، والتطبيق: application.

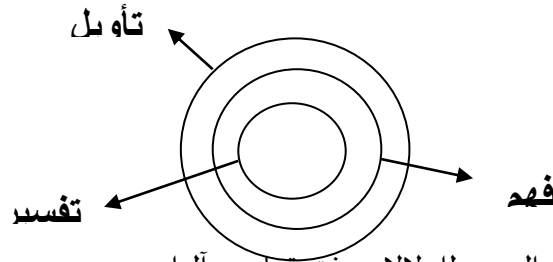
والفهم عند ريكور يعني متابعة حركة النص من دلالاته إلى مرجعيته، أو من تعبيره إلى حول ما يعبر عنه وهو أشياءه ووقائعه، ويخلص ريكور إلى أن دلالة النص ليست وراء هذا النص بمحاذاة قصدية المؤلف ولكن قبله من جهة المرجعيات أو العوالم التي يفتحها ويتيحها، ويمكن لنا أن نرسم الدوائر الثلاثية: تفسير- فهم- تأويل على الشكل التالي:36

³³ حكيم بناني، الفهم والتأويل والحجاج ، ص: 65.

³⁴ هانز روبرت جوس، علم التأويل الأدبي، حدود ومهّماته، ترجمة ، بسّام بركة ، مجلة العرب والفكر العالمي، ع: 3، 1988، ص: 55.

³⁵ المقال نفسه، ص: 56.

³⁶ ينظر محمد شوقي الزين ، تأويلات وتفكيكات، ص: 78.



التفسير: هو التنسيق الرمزي للدلالات وفق قواعد وآليات.

الفهم: هو الانتقال من دلالة النص إلى المرجعية الخارجية على سبيل المطابقة أو الاختلاف بما تتيحه المصادقية.

التأويل: هو الانتقال داخل مرجعية النص من المعنى إلى الحدث أو الواقعة النصية.

وهكذا سيشكل الفهم، والتأويل أهم الآليات الموظفة في فعل القراءة، ويمثلان الوجه الخفي لها، ومن هنا، كان التأويل يشتغل في إطار الهرمينيوطيقيا، وتكون القراءة وما تستند إليه من أوليات مجالا خصبا يمكننا من العودة إلى تراثنا المعرفي عامة، والنقد خاصة، عودة منهجية تشتغل على قطبين هما: فهم النص/ التراث في بعده وسياقه التاريخي، ثم قراءته من زاوية معاصرة تنطلق من هموم الخطاب الفكري وإشكالياته من حيث هو حاضر زمنيا ومعرفيا، بغية خلق حادثة فكرية حقيقية وهذا تماشيا مع مشروعنا الدلالي «الدرس الدلالي بين التراث والحداثة عند العرب». قال أمبرتو إيكو: «لكي نؤول يجب أن نتلقى»³⁷ حينها يصبح التلقي فنا معماريا يبني وفق هندسة القراءة التي تصنع النظرية وتحدد المفاهيم الجمالية، فالقراءة ليست تلقيا سلبيا أبدا وإنما هي تفاعل خلّاق ومشاركة حقيقية بين النص والقارئ تستلزم أن ندرك حضور الكاتب في داخل النص الأدبي، ليرتقي التلقي ويصبح حدثا تواصليا يعكس نوعا من أنواع التفاعل بيننا وبين الباحث، وينبغي أن يكون «التأويل شكلا محددا للتفاعل بيننا وبين النص، أي محاولة إقامة بنية للتلقي أو جهاز للقراءة في مقابل رسالة أو جهازها الإبداعي والفني الراجع إلى نظامها الذاتي»³⁸، فنحن بصدد مستويين اثنين للتفاعل هما:

- تفاعل المتلقي بالباحث: تواصل.
- تفاعل المتلقي بالنص: تأويل.

و بناء على ما سبق فإنّ العقل التأويلي يرى أن النص لا يمكن احتواؤه، فهو المتلقي الذي تتقاطع عند التأويلات وتتفجر الدلالات، ويضحي التأويل فعل تعدد وتشتتت، فإشكالية المعنى المتعدد، وجعل الخطاب مفتوحا

³⁷ إدريس بلمليح، من التركيب البلاغي إلى المجال التصوري عند عبد الله راجع، من قضايا التلقي والتأويل، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومحاضرات رقم: 36 ط: 1994، 01، الرباط، ص: 85.

³⁸ إدريس بلمليح، من التركيب البلاغي إلى المجال التصوري عند عبد الله راجع، من قضايا التلقي والتأويل، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومحاضرات رقم: 36 ط: 1994، 01، الرباط، ص: 85.

لأفاق التأويل والفهم غدا إشكالا كبيرا في الدراسات التأويلية وخاصة الدينية منها، إذ ليس ثمة تأويل يفضي إلى دلالة وحيدة أمام لغة قوامها المجاز.

التأويل والحجاج:

*حجاجية التأويل وتأويلية الحجاج :

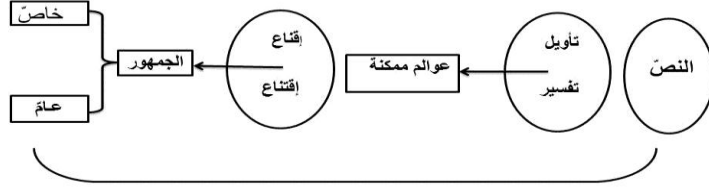
يعدّ الحجاج رافداً من روافد الفعل التأويلي ، كما يعدّ التأويل رهاناً يعوّل عليه في بعض الخطابات الحجاجية. تبدو المعادلة معقّدة نوعاً ما ويصعب هضمها ، ولكن من خلال تحليلنا سنوضّح ذلك .

إنّ ثنائية (الحجاج/التأويل) ثنائية لم يتقارب ويتفاعل طرفها في الدراسات القديمة بحكم البون الشاسع بينهما ، لأنّ هذا الكيان الذي حمل في داخله نواة التفاعل بين فرعين معرفيين طالما اعتقد المنظرون افتراقهما ، نعني الحجاج فرعاً معرفياً مأسوراً بالأشكال المنطقية ، مأخوذاً بالضوابط الرياضية ، والتأويل فرعاً معرفياً تغريه الأبعاد وتلهيه بواطن النصوص وما تتضمنه من خلجات نفسية وأغوار روحية تحملها أبنية الكلام وتضمنها حوامل اللغة ، كيان رأب الصدوع المفترضة بين المبتغى التأويلي وآلاته المساعدة .^أ

وهكذا يغدو الحجاج رافداً من روافد الفعل التأويلي الذي يجريه المؤوّل على النصّ يستنطق معالمه ويجلي مستغلقه ؛ إذ إنّ المؤوّل لحظة محاجة خصمه الواقعي أو غريمه المفترض ، إنّما ينتصر لزعم تأويلي على حساب زعم تأويلي آخر اعتقد في فساده وآمن بحدوده.^ب ، فحينما نحاجج فإنّنا نووّل ، وكما أنّ بلاغة التأويل كذلك حرصت على إخراج الحجاج من قوقعة البرهان الاستدلالي الصّوري إلى رحاب اللغة الطبيعية التي تجعل منه ممارسة تأويلية ، ممّا يجعل من " العلاقة بين التأويل بوصفه خطاباً حجاجياً والحجاج بوصفه ممارسة تأويلية "^ج ، ففي ظلّ هذا التفاعل والتداخل المتبادل والاستلزام الثنائي سار كل من التأويل/ الحجاج جنباً إلى جنب لخدمة كلّ واحد منهما الآخر ، ولكن هذا التلازم ليس في كلّ الأحوال ، فمن الممكن الاستغناء عن بعضهما البعض في أحوال متفرقة .

فهذا التصاهر الثنائي بين الحجاج كعملية مركبة تتجمّع في محيطها كفاءات مختلفة (اللغة ، التداول والتعامل العقائد والتصورات...) وبين العمل التأويلي كعمل يتجاوز حدود الدائرة التفسيرية ، التي لا يشغلها سوى التأسيس الإبستمولوجي ، والضبط المعجمي الدلالي ، ليحلّ في محيط "الدائرة التأويلية" التي تقرأ المغيب وتحفر في غيم المعاني الموشومة في أعماق الذات الكاتبة ^د . وفق رؤية تفاعلية تجعل الحجاج آلية تصنع الكون التأويلي وتبني عوالم الاعتقاد الممكنة.

*الحجاج وبناء العوالم الممكنة :

المسار التأويلي / المسار البرهاني³³

لقد اعتبرنا الحجاج فيما سبق، أنه آلية تأويلية يستخدمها المحاجّ/المؤوّل ، لإثبات مواقفه وترشيح أرائه. وهذا الاعتبار يؤكّد الوظيفة التحويلية التي علّقها المنظّرون بالحدث الحجاجي من خلال جمع من المفاهيم والاصطلاحات (المجاورة/البناء/التوجيه) ، وهذه الوظيفة تتجلّى أساساً فيما يصطلح على تسميته بالعوالم الممكنة " *les modes possibles* " من جهة كونها محاصيل تأويلية ووجوها تحقيقية لنُدر تأويلي ممكن يروم المحاجّ/المؤوّل^٧ ، ووفقه يحصل فعل التأثير والإقناع . ويظلّ اشتغال المحاجّ/المؤوّل في منطقة "المابين" (الذات/الموضوع) في فضاء الاختلاف الذي ليس فضاء الذات ولا فضاء الموضوع، في هذا المكان تصبح الذات غير متفوّقة، لا تمثل معرفتها ما تعرفه، أي إنّها يمكن أن تقول شيئاً لم تعرف بأنّها تقوله، وفي هذا الوضع يجد المؤوّل نفسه بين الذات والموضوع، بين المفكّر والفكر. ليصل إلى عوالم من المعاني المتجدّدة للنص، وترسيخ قواعده في عقول المتقبلين وإثبات حقائقه في كيانات السامعين ، لذلك تحرّك المسار التأويلي المتبوع بمسار برهاني حجاجي ، حسب المخطط الآتي^{٧١}.

التأويلية المعاصرة و البراديفم الحجاجي :

إنّ النموذج الحجاجي للهيرمينوطيقا يتّضح من خلال التوجيه المنطقي للغة وبنيتها ، و تكييف الطابع الحجاجي بما يتناسب مع أهدافها العامّة ، وتغدو الحجاجية الفلسفية أنموذجاً للعقلانية المعاصرة وهذا ما نادى به بول ريكور من خلال جعل هذا الأنموذج مخترقاً لأنساق معرفية متعدّدة ويكون طرفاً في كل الحوارات التي ينظّمها العقل داخل الخطاب .

وعلى ضوء هذه المقاربة سنحاول الكشف عن المناحي الحجاجية التي تقوم عليها الهيرمينوطيقا في توجيه الفكر من خلال رصد الوظائف التعليلية والاستدلالية والبرهانية في اللغة .

والحديث عن النموذج الحجاجي وعلاقته بالهيرمينوطيقا يحيلنا إلى العلاقة الوطيدة بين البلاغة والتأويلية ذاتها " فإنّ الهيرمينوطيقا تستعير بشكل كبير أدواتها من فن البلاغة"^{viii} ، لأنّ كلاهما فنّ يهدف إلى التحكّم في المعنى

وتنظيم الخطاب ، وجسر مباشر للوعي يوطّد العلاقة التشاركية والتفاعلية بين الذات واللغة من جهة ، وفي مجاورة متجذرة بين البلاغة والتأويل من جهة أخرى .

وعليه فإنّ بلاغة التأويل تعتمد على فرعين أساسيين :^{viii}

1- بلاغة الفهم : تتكئ على العلوم الآلية الموصلة إلى مرحلة الفهم ، كالموهبة والبحث اللغوي والنحوي والصرفي والبلاغي ، وكذا امتلاك الذائقة المتكوّنة من تراكم المقروء .

2- بلاغة الإقناع : بعد تحقّق الفهم لدى المؤّول كمرحلة أولى ، يسعى فيما بعد إلى تبريره وتعضيده بالأدلة والحجج المبنية على آليات داخل النصّ وخارجه ، وحمل المخاطبين على التصديق بها والتسليم لها .^{ix}

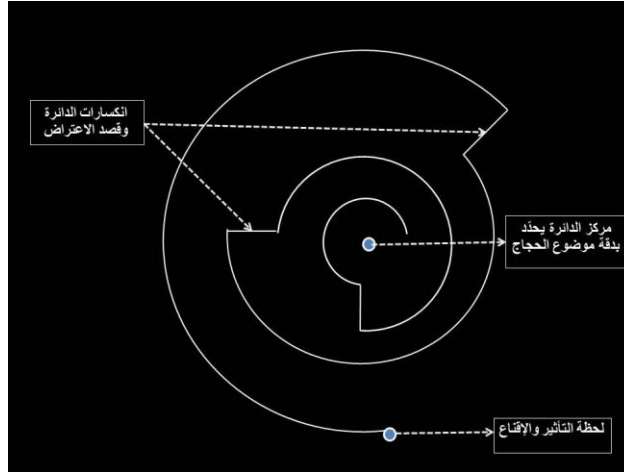
وبناءً على سبق يتجلّى لنا بأنّ التأويل فعل إقناعي يحتجّ فيه المؤّول للمعنى الذي وقف عليه بفضل آلياته التأويلية ، التي هي آليات حجاجية في الوقت ذاته ؛ وذلك أنّ "النصّ تجري عليه ممارسات تأويلية كثيرة تؤدّي إلى جدل تأويلي حول تملّك الحقيقة الأصلية المودعة في النصّ " ^x ، وللقبض على هذه الحقيقة نجد "المؤّول يُسجّر كلّ الآليات الخطابية والموجّهات المقامية المتاحة والمفترضة ، ليجعل الخطاب التأويلي – بما هو خطاب مصاحب – رشحا فاعلا يثبت النصّ ، لا بل يعرفه ويسمّيه"^{xi}

و المدرسة البرهانية أكّدت لنا هذا التوجه (التأويلي/الحجاجي) على رأسها بيرلمان و تيتيكا على أنّ التأويل يقدّم نفسه بوصفه قراءة لها دوافعها الحجاجية في مواجهة النصّ ، من أجل اختراقه والانتصار عليه وإلاّ لما ظهر الفرق بين النصّ والنصّ المؤّول ، ولقد نبذه بيرلمان إلى أنّ " التأويل يمكن أن يفضي إلى وجه حجاجي لاعتباره قوّة حجاجية مستنتجة تدفع إلى الفهم والإقناع ، بواسطة قرارات إنجاز الفعل"^{xiii} وقد استخدم علم التأويل الدائرة التأويلية في الأنموذج الحجاجي للخطاب ، واعتبرها حلاً أنطولوجياً لمشكلة المسافة داخل الوعي و اللغة ، أو ما يسمى فنّ التماسف "اتخاذ المسافة distancing" حيث إنّ الكلّ لا يفهم إلاّ من خلال الجزء والجزء لا يفهم إلاّ من خلال الكلّ "، وتعمل دائما هذه العلاقة الدورانية لصالح تثبيت الحقيقة ، وتثبيت بينية الفهم الانطولوجي غير الخطيّة من خلال دورها البلاغي الحجاجي من خلال أدوات المنطق والاستدلال البرهاني ، في الإثبات والنفي الجدليين .

والدائرة في البراديغم * الحجاجي تختلف عن الدائرة الهرمينوطيقية في نموذجها الخطابي العادي غير الحجاجي ، فهي دائرة غير مكتملة تكاد تكون مشوّهة ، في كلّ مرّة تحاول أن تفلت من قبضة المنطق وآفاته والاستدلال وصرامته ، وسبب هذا الانفلات المنطق الطبيعي للغة من جهة و قصدية الاعتراض التي هي من حقّ المتلقي للخطاب الحجاجي من جهة أخرى .

و لكون الخطاب الحجاجي خطاباً مبنياً و موجّهاً لمتلق ما ، و حاملاً مقصدية ما فإنه يجوز لهذا المتلقي الاعتراض وعدم التصديق فيما يقوله المحاجج، لذا جعل طه عبد الرحمن الخطاب هو الأصل في كلّ تعامل "فلا كلام بغير خطاب ...ولا خطاب بغير حجاج"^{xiii}، وماهية الخطاب الحجاجي تكمن في أنّه يضيف إلى قصد التّوجه إلى الآخر، وقصد الإفهام قصدين معرفيين في الوظيفة الحجاجية هما: قصد الإدّعاء وقصد الاعتراض .

ومن خلال قصد الاعتراض في البراديغم الحجاجي للخطاب تتشكّل لنا هذه الدائرة مشوّمة غير مكتملة، تتساق مع العمليات الخطابية الحجاجية بين المتحاورين أو المجادلين أو المتناظرين فتتشكّل مساراتها حسب قوة الاعتراض وزمنه. وسبب هذا التشوّه والانكسار في مسارات الدائرة التأويلية؛ راجع إلى الاعتراض المتكرّر الذي هو من حقّ المتلقي المعارض، وكذا نسبة المقولات الخطابية ذات اللغة الطبيعية التي تعتمد على الحجج الشبه منطقية، التي تنفلت من جبروت المنطق و صرامة الاستدلال البرهاني، للذان يدفعان المحاجج إلى إعادة رسم مسار لدائرته التأويلية، و بناء حججه عند كلّ لحظة اعتراض و عدم تصديق. ما جعلنا نرسم الدائرة التأويلية في البراديغم الحجاجي على النحو التالي :



15. علي الشبعان، الحجاج والبلاغة وآفاق التأويل، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط2010، 1، ص: 463
16. المرجع نفسه، ص: 463
17. عمارة الناصر، الهرمينوطيقا والحجاج، مقارنة لتأويلية بول ريكور، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2014، 1، ص: 09،
18. ينظر: علي الشبعان، الحجاج والبلاغة وآفاق التأويل، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط2010، 1، ص: 463
19. علي الشبعان، الحجاج والبلاغة وآفاق التأويل، ص: 470
20. المرجع نفسه، ص: 470

21. عمارة ناصر ، اللغة و التأويل ص :23
 22. المرجع نفسه ص :23
 23. ينظر: محمد بازي ، نظرية التأويل التقابلي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2013، ص:66
 24. محمد بازي ، نظرية التأويل التقابلي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2013، ص:477
 25. علي الشبعان ، الحجاج والبلاغة وآفاق التأويل ص:474
 26. عمارة ناصر ، اللغة و التأويل ص :24
 27. طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان والتكوثر العقلي ، ص:213.
- *البراديجم أو النموذج العلمي :هو تقليد علمي خاص ومنسجم هو تلك الإنجازات العلمية والتي تقبل في زمن معين، وتشكل أساسا قويا لطرح المشكلات العلمية ولطرائق حلها. وهو كذلك مجموعة القيم التي يشترك الباحثون فيها في قبولها والتمسك بها. وتتمثل هذه القيم في المناهج والمعايير التي تتحدد وفقا له. أنظر :حسن الحريري، التأويل الابستمولوجي اللأوضعي بين براديجم توماس كون وبرنامج بحث لاكاتوس ص:04/03

مراجع ومصادر البحث :

1. بول ريكور ، من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، تر: محمد براءة، حسان بورقية، الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم القاهرة، ط1 : 2001.
2. طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1998.
3. طه عبد الرحمن ، فقه الفلسفة : الفلسفة و الترجمة ، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1995 .
4. عادل مصطفى ، فهم الفهم ، مدخل إلى الهرمينوطيقا. نظرية التأويل من أفلاطون إلى غدامير ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2007م
5. عادل مصطفى، مدخل إلى الهرمينوطيقا، دار النهضة العربية، ط:01. مصر: 2003،
6. عبد الرحمن محمد القعود ، الإيهام في شعر الحداثة، سلسلة المعرفة ، ع279. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2002
7. علي الشبعان ، الحجاج والبلاغة وآفاق التأويل ، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2010.
8. عمارة الناصر ، البلاغة والفلسفة ، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2009م.
9. عمارة الناصر ، الهرمينوطيقا والحجاج ، مقاربة لتأويلية بول ريكور ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2014م .
10. عمارة ناصر ، اللغة و التأويل : مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية و التأويل العربي الإسلامي ، ط1 ، منشورات الاختلاف الجزائر 2007.
11. فاليري ليبين ، فرويد – التحليل النفسي و الفلسفة الغربية المعاصرة ، تر: زياد الملا ، مراجعة: د. تيسير كم نقش ، ط1 ، دار الطليعة الجديدة ، دمشق - سوريا ، 1997
12. محمد بازي ، نظرية التأويل التقابلي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2013.
13. محمد شوقي الزين ، تأويلات وتفكيكات. منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2015

14. نبهة قارة ، الفلسفة والتأويل ، ط1 ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت -لبنان ، 1998 .
15. نصر حامد أوزيد ، إشكاليات القراءة وآليات التأويل المركز الثقافي العربي ، المغرب ،.ط1 ، 2014 ،
16. هانز جورج غادامير: فلسفة التأويل تر: محمد شوقي الزين ، دط، منشورات الاختلاف ، الجزائر، 2000م.
17. هانز جورج غادامير، الحقيقة و المنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية. تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، دار أويا ، ليبيا، ط1، 2007.
18. هيدجر، الوجود والزمان، تر: فتحي المسكيني، درا الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، ط2012، 1م.